al'anf arramzee 'and bayeer bawrdyoud qaraa'a mafaaheemya

العنف الرمزي عند بيير بورديود قراءة مفاهيمية

Symbolic Violence in Pierre Bourdieu: A Conceptual Reading

HANI Amina[1], SASSI Soufiane[2] هاني أمينة[1]، أ.د. ساسي سفيان[2]

[1] جامعة الطارف (الجزائر)، مخبر التربية الانحراف والجريمة في المجتمع، hani.amina@univ-eltarf.dz

[2] جامعة الطارف (الجزائر)، s.soufiane@univ-eltarf.dz

تاريخ الاستلام: 2025/3/2 تاريخ القبول: 2026/3/23 تاريخ النشر: 2026/6/12

Abstract: Pierre Bourdieu effected a radical change in sociology by highlighting the complex mechanisms through which unequal social structures are reproduced across generations. He evidenced the central role played by social heritage in determining individuals' paths and opportunities. At the heart of this vision lies the concept of 'symbolic violence,' which refers to those hidden forces that work to inculcate certain values and beliefs in individuals, thereby hindering the realization of social justice and equality. The most significant manifestations of this violence are evident in educational institutions, where the well-off classes are implicitly favored, and in the media, which contribute to the diffusion of ideas and ideologies that serve the interests of the ruling classes. Bourdieu called for the necessity of radical reforms in the educational system to make it more equitable, and also called for the development of media policies aimed at diversifying voices and promoting democratic dialogue.

Keywords: Violence; symbolic violence; symbolic capital; Pierre Bourdieu.

ملخص: لقد أحدث بيير بورديو تحولا جذريا في علم الاجتماع من خلال تسليط الضوء على الآليات المعقدة التي تعاد إنتاج من خلالها التراكيب الاجتماعية غير المتكافئة عبر الأجيال، وقد قام بورديو بتحليل الأشكال المتنوعة لرأس المال، سواء كان اقتصاديا أو ثقافيا أو اجتماعيا، وتمكن من إبراز الدور المحوري الذي يلعبه الإرث الاجتماعي في تحديد مسارات حياة الأفراد وفرصهم. في قلب هذه الرؤية يكمن مفهوم "العنف الرمزي"، الذي يشير إلى تلك القوى الخفية التي تعمل على غرس قيم ومعتقدات معينة في الأفراد، مما يعيق تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، وتتجلى أبرز مظاهر هذا العنف في المؤسسات التعليمية، حيث يتم بشكل ضمني تفضيل أبناء الطبقات الميسورة، وفي وسائل الإعلام التي تسهم في نشر أفكار وأيديولوجيات تخدم مصالح الطبقات الحاكمة. وقد دعا بورديو إلى ضرورة إجراء إصلاحات جذرية في النظام التعليمي لجعله أكثر إنصافا وعدالة، كما طالب بتطوير سياسات إعلامية تهدف إلى تنويع الأصوات وتعزيز الحوار الديمقراطي.

الكلمات المفتاحية: العنف؛ العنف الرمزي؛ رأس المال الرمزي؛ بيير بورديو.

المؤلف المرسل: هاني أمينة،

1. مقدمة

يعود مفهوم العنف الرمزي، الذي يعد أحد أركان النظرية السوسيولوجيا المعاصرة، إلى المفكر الفرنسي بيير بورديو الذي قدمه كأداة تحليلية ثاقبة لفهم ديناميات السلطة والتراتبية الاجتماعية، وقد برز هذا المفهوم في سياق النقاشات النقدية التي شهدتها العلوم الاجتماعية في القرن العشرين، حيث سعى بورديو إلى تجاوز النظرات التقليدية للعنف التي تركز على الجانب المادي المباشر، ليكشف عن أشكال أكثر دهاء وخفية من السيطرة.

إن تأصيل مفهوم العنف الرمزي يعود إلى رغبة بورديو في فهم كيف يتم استنساخ الهيمنة الاجتماعية عبر الأجيال وكيف يتم تطبيع الأوضاع الاجتماعية غير المتساوية، فبدلا من اللجوء إلى القوة المادية الصريحة، يلجأ المسيطرون إلى آليات أكثر خفية مثل فرض قيم ومعايير وأفكار معينة على الأفراد والجماعات، مما يؤدي إلى قبولهم لأوضاعهم الاجتماعية دون مقاومة تذكر.

وبالتالي، فإن العنف الرمزي ليس ظاهرة جديدة، بل هو جزء لا يتجزأ من التاريخ الاجتماعي فمنذ القدم، استخدمت السلطة أشكالا مختلفة من العنف الرمزي لتكريس هيمنتها، سواء من خلال الأديان، أو الثقافة، أو المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وقد تطورت هذه الآليات مع تغير المجتمعات، ولكن جوهرها ظل ثابتا، وهو السعي إلى السيطرة على العقول والأفكار.

2. المفاهيم الأساسية:

1.2. العنف:

ويقصد به استخدام القوة الجسدية أو النفسية لإلحاق الأذى أو الضرر بشخص آخر أو مجموعة من الأشخاص، قد يكون هذا الأذى جسديا أو نفسيا أو عاطفيا أو جنسيا، يعتبر العنف انتهاكا لحقوق الإنسان وله آثار سلبية على الفرد والمجتمع؛

2.2. العنف الرمزي:

هو مفهوم حديث النشأة صاغه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، ويشير إلى نوع من العنف غير المادي وغير المباشر، يتم من خلاله فرض معاني ورموز معينة على الأفراد والمجموعات، مما يؤدي إلى ترسيخ علاقات القوة والهيمنة في المجتمع؛

3.2. رأس المال الرمزي:

يشير هذا المصطلح إلى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها الفرد أو الجماعة في المجتمع، والتي تستند إلى عوامل غير مادية مثل الشرف، والهيبة، والشهرة، والسمعة، والتقدير الاجتماعي، وبمعنى أخر هي "القيمة التي يمنحها المجتمع لشخص أو مجموعة بناء على تصوراتهم وتقديراتهم لهم، وليس بالضرورة بناء على ثروتهم المادية أو سلطتهم السياسية".

3. أهمية البحث:

تتضح أهمية دراسة هذا الموضوع من خلال سعيها إلى:

- تتيح لنا دراسة هذا الموضوع الكشف عن آليات الهيمنة الخفية وفقا للمنظور النظري لبيير بورديو؛
- إن دراسة العنف الرمزي تتيح لنا، انطلاقا من أفكار بورديو، كشف النقاب عن الأبعاد الخفية للسلطة التي تعمل من خلال الرموز والمعاني، وكيف تساهم في إعادة إنتاج الهياكل الاجتماعية والثقافية القائمة؛
- تحليلنا لمفهوم العنف الرمزي وفقا لبورديو يكشف عن العلاقة الجدلية بين السلطة والمعرفة في إنتاج الواقع الاجتماعي.

4. أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المعرفية والتحليلية والنقدية، من بينها:

- فهم كيف يعمل العنف الرمزي من خلال اللغة، والتعليم، ووسائل الإعلام، والممارسات الاجتماعية، لفرض قيم ومعايير معينة؛
- محاولة فهم كيف تتجاوز الهيمنة أشكالها المادية الظاهرة، لتتخذ أبعادا رمزية وثقافية أكثر دقة وخفاء؛
- يهدف إلى تطوير وعي الباحث بأشكال الهيمنة الرمزية التي تحيط به في المجتمع، وكيف يمكن أن تؤثر على أفكاره وسلوكه.

5. الإشكالية:

يعتبر مفهوم العنف الرمزي عند بيير بورديو إضافة نوعية لعلم الاجتماع، حيث يقدم تحليلا معمقا لآليات الهيمنة والتسلط في المجتمعات الحديثة، يهدف هذا المفهوم إلى كشف الطرق الخفية والناعمة التي تمارس بها السلطة نفوذها، وذلك من خلال استغلال الأدوات الثقافية والرمزية، فبدلا من العنف المادي المباشر، يركز بورديو على العنف الرمزي الذي يتجلى في فرض قيم ومعايير وأفكار معينة على الأفراد والجماعات، مما يؤدي إلى تطبيع الأوضاع الاجتماعية القائمة وتبريرها.

يساهم هذا المفهوم في فهم أعمق لكيفية تشكل الهويات الاجتماعية، وكيف يتم إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية غير المتساوية، كما يوفر أدوات تحليلية قيمة للباحثين والناشطين الاجتماعيين، مما يمكنهم من تحدي أشكال الهيمنة المختلفة والعمل على بناء مجتمعات أكثر عدالة ومساواة.

من خلال دراسة مفهوم العنف الرمزي، يمكننا أن نكتشف كيف يتم توزيع الموارد والسلطة في المجتمع، وكيف يتم تشكيل الوعي الاجتماعي، وكيف يمكننا مقاومة أشكال الهيمنة التي تحد من إمكاناتنا

بناء على ما سبق، تتحدد إشكالية هذا البحث في الإجابة عن السؤال التالي: **ما هي قراءة بيير بورديو لمفهوم العنف الرمزي؟**

6. أولا– قراءة بيير للمفهوم العنف الرمزي:

يقصد بيار بورديو بـ"العنف الرمزي" ذلك الإكراه الخفي الذي يمارسه أصحاب السلطة والمعرفة، كالسحرة، الكهنة، الأساتذة، والمحللين النفسيين، من خلال فرض رؤيتهم للعالم وقيمهم على الآخرين بطريقة غير مباشرة هذا الفرض، الذي يتميز بالدهاء والتسلط، يجعل المهيمنين يفرضون رؤيتهم كحقيقة مطلقة، مما يحد من قدرة المهيمن عليهم على التفكير النقدي والمقاومة، ويرى بورديو أن أي عمل تربوي، مهما بدى محايدا، يحمل في طياته هذا العنف الرمزي، لأنه يمثل في جوهره فرضا لثقافة السلطة على الأفراد(Pierre, 1997) أي أنه " شكل من أشكال العنف الخفي الذي يتسلل إلى النفوس دون أن يترك أثرا ظاهرا، حتى أن الضحية نفسها قد لا تدرك أنها تتعرض له. (Pierre., 1981) ، (علاهم، و جمال الدين ، 2024).

كما يرى بورديو أن العنف الرمزي هو ("أسلوب خفي وفعال لممارسة السلطة، حيث يتم إكراه الأفراد على قبول واقعهم دون مقاومة ظاهرية")، هذا العنف يتسلل إلى أعماق الوعي الاجتماعي، ("ويتجسد في مجموعة من الظواهر الرمزية المتداخلة، كالقوة والسيطرة والثورة الرمزية "). (بيار و ترجمة سليمان، 2009) (Bourdieu, 1998, pp 34–37)، وبما أن هذا النوع من العنف يعتمد على التوافق الداخلي للمضطهدين، فإن قوته تكمن في قدرته على إخفاء آليات السيطرة وتبريرها، إن أي مشاركة في هذه العملية تجعل الخاضع جزءا من نظام خضوع متكامل، حيث يصبح انصياعه تلقائيا ومتوافقا مع النظام ومع ذلك، يختلف هذا النوع من الخضوع عن "العبودية الطوعية" التي يقوم على الاختيار الشخصي والإرادة الحرة، فعملية الخضوع هنا هي نتيجة لآليات تحكم لا إرادية، تتجسد رمزيتها في العنف الذي يعتبر ثمرة لقبول سلبي ومكبوت، ينبع من بنية النظام نفسه.(Landry, 2016)

هذا القبول اللاوعي للعنف، الذي يتحول إلى جزء لا يتجزأ من هوية المهيمن عليهم، يشكل بمثابة قفص ذهني يحد من قدرتهم على التفكير النقدي والتعبير عن الذات والإدراك والاستعدادات، حيث أنهم يرون العالم من خلال عدسة مشوهة، حيث يصبح العنف هو القاعدة وليس الاستثناء، هذا التماهي مع القوة المهيمنة يولد شعورا بالضعف والعجز، ويؤدي إلى تكرار نفس الأنماط السلوكية من جيل إلى جيل. (Bourdieu, 1997, P29)

ومنه فالعنف الرمزي هو ذلك السلاح الخفي الذي يسعى إلى السيطرة على العقول، يخلق آثارا عميقة في نفسية الفرد، حيث يدفعه إلى الخضوع والطاعة بشكل شبه تلقائي(Landry, 2016) فمن خلال ترسيخ قيم ومعتقدات معينة، يصبح الفرد مقتنعا بضرورة هذه العلاقة غير المتكافئة، ويشعر بأن ما يعانيه هو أمر طبيعي ومقبول وبالتالي، فإن آثار العنف الرمزي ليست مجرد ردود فعل مؤقتة، بل هي استجابات عميقة الجذور تتجذر في بنية الفرد المعرفية، مما يجعلها صعبة التغيير ومستمرة على المدى الطويل

كما يرى بورديو أن العنف الرمزي في كتابه "ماذا يعني أن تتكلم"، ذلك النوع الخفي من السيطرة الذي يمارس عبر اللغة والثقافة، هو نتاج تضافر جهود مجموعة

اجتماعية لفرض رؤيتها للعالم على الآخرين، هذا التعاون المبني على عدم المعرفة المتبادل ينتج سلطة تمكن المجموعة المسيطرة من توجيه سلوك الأفراد وتشكيل معتقداتهم وقيمهم وبالتالي، يصبح الجهل أداة أساسية في ترسيخ هذه السلطة (Bourdieu, 1986)، حيث يجعل الأفراد يقبلون أوضاعهم الاجتماعية دون مقاومة، معتقدين أنها طبيعية وحتمية هذه القوة الرمزية، رغم طابعها التعسفي، تتمكن من تحقيق الطاعة دون الحاجة إلى اللجوء إلى القوة المادية، وذلك بفضل قدرتها على تشكيل وعي الأفراد وتوجيه سلوكهم. (محمد الأمين و لبنى، 2021).

ومنه فإن إن جوهر العنف الرمزي يكمن في جهل الضحية بطبيعته، فبقاء آلياته مخفية يمنحه مظهر الحتمية والقضاء والقدر، (Addi، 2001) هذا النوع من العنف لا يتطلب سوى أدوات رمزية لإحداث تأثيرات مادية، كالخضوع والطاعة، وذلك عبر استغلال الرغبات والتوجهات وتوجيهها نحو تحقيق مصالح المسيطرين ولتحقيق هذا الهدف، لا بد من غرس الاعتراف والقبول بسلطة المسيطر، الأمر الذي يجعل العنف الرمزي يعتمد بشكل أساسي على تلاعب الوعي وتشكيله. (مريم و نورة، 2019)

بناءا على الرؤى التي قدمها بيير بورديو، يمكننا أن نستخلص أن العنف الرمزي يستمد قوته من مجموعة متنوعة من العوامل وهي: (علاهم، و جمال الدين ، 2024)

1.6. الثقافة:

تستغل الجماعات المهيمنة قوة الرموز الثقافية كأداة فعالة لنسج خيوط الهيمنة على عقول الأفراد ومجريات الأحداث، فمن خلال التحكم في إنتاج وتوزيع المعاني والصور النمطية، تعمل هذه الجماعات على تشكيل وعي الجماهير وتوجيه سلوكهم نحو تبني قيم وأفكار محددة، مما يحد من قدرة الأصوات المعارضة على الظهور والاندماج في النقاش العام، وبالتالي ترسيخ الهيمنة الثقافية بشكل متين؛

2.6. اللغة:

تلعب اللغة دورا محوريا في صيانة وتعميق الهياكل الاجتماعية غير المتساوية، فهي أكثر من ("مجرد أداة للاتصال، إنها حقلا رمزيا للصراع الثقافي، حيث يتم تشكيل الرؤى والمعتقدات وتوجيه السلوكيات، من خلال المفردات والنحو والبلاغة، تساهم اللغة في ترسيخ وتحقيق مصالح فئات اجتماعية معينة")، (Bourdieu P.، 1982)

وذلك عبر بناء سرديات قوية تربط الهوية الاجتماعية بالمركزية والتفوق، هذه السرديات تعمل على تبرير التفاوتات القائمة، وتقويض أي تحد لموازين القوى الاجتماعية، مما يضمن استمرار الدورات التاريخية للهيمنة والسيطرة؛

3.6. المؤسسات:

تلعب المؤسسات التعليمية والدينية دورا حاسما في تشكيل الهويات الثقافية والمعرفية للأفراد والمجتمعات، من خلال المناهج الدراسية، النصوص المقدسة، والطقوس، تقوم هذه المؤسسات بنقل قيم ومعتقدات محددة، وتكريس أنماط تفكير وسلوك معينة وبالتالي، فإنها تساهم في ترسيخ أشكال من الهيمنة الثقافية والمعرفية، حيث يتم تفضيل بعض الأفكار والقيم على حساب أخرى، وتوجيه الأفراد نحو تصورات محددة عن العالم والحياة.

7. ثانيا– تكون المفهوم عند بير:

انطلاقا من أعمال عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، نتمكن من فهم الآليات المعقدة التي من خلالها تشكل مفهوم العنف الرمزي في مختلف السياقات الاجتماعية، يكشف تحليلنا أن هذا النوع من العنف، الذي يتسم بطابعه الخفي وغير المباشر، يتجسد في مجموعة متنوعة من الأفعال والقوى التي تسعى إلى فرض نظام معين من القيم والمعتقدات على الأفراد والجماعات. هذه العملية، التي تتم بشكل غير واع في كثير من الأحيان، تؤدي إلى ترسيخ واستمرار الهيمنة الاجتماعية، ومنه يتكون مفهوم العنف الرمزي مما يلي: (مريم و نورة، 2019)

1.7. التطبيع:

هو عملية ممنهجة تعمل على ترسيخ قيم ومعتقدات وسلوكيات معينة في المجتمع، وذلك من خلال تكرارها المستمر وتقديمها على أنها الأمثل والأكثر منطقية، إنه كالغسيل الدماغي الذي يجعل الأفراد يقبلون بواقع معين دون تفكير نقدي، ويعتبرون أي انحراف عنه أمرا شاذا وغير مقبول؛

2.7. الهيمنة الثقافية:

هي عملية منظمة ومدعومة بالسلطة، تفرض فيها طبقة اجتماعية معينة، عادة ما تكون الحاكمة أو المهيمنة اقتصاديا، مجموعة من القيم والمعتقدات والأعراف والتقاليد

التي تعكس مصالحها وتخدم أهدافها، وتعمل على فرض هذه الثقافة على الطبقات الاجتماعية الأدنى من خلال مجموعة من الآليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛

3.7. إعادة الإنتاج الاجتماعي:

هي ("آلية أساسية في الحفاظ على التفاوت الاجتماعي والثقافي")، حيث يتم نقل المزايا والامتيازات من فئة اجتماعية إلى أخرى عبر الأجيال، وذلك من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة مثل (الأسرة والمدرسة والإعلام، مما يعزز استمرار الهيمنة الطبقية). (بيار.، جان كلورد، و ترجمة ماهر، 2007)

كما يتجلى العنف الرمزي عند بيير بورديو في مظاهر متعددة ومتنوعة، تتغلغل في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وهي:

4.7. الهيمنة الذكورية والعنف الرمزي: (krais, 1999)

يرى بورديو أن هذا العنف ليس مجرد قسر جسدي، بل هو شكل أكثر دهاء واختراقا، يتمثل في فرض قيم ومعايير ثقافية وأيديولوجية تخدم مصالح فئة معينة، في هذه الحالة الذكور، وتجعل الهيمنة تبدو طبيعية ومقبولة، هذا العنف الرمزي يعمل على ترسيخ وتبرير التفاوت بين الجنسين، ويجعل النساء يقبلن بأدوارهن الثانوية في المجتمع.

يشير بورديو إلى أن العنف الرمزي يتجسد في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، من اللغة والإعلام إلى المؤسسات التعليمية والسياسية فمثلا، اللغة نفسها تحمل في طياتها تحيزات جنسانية، حيث تستخدم كلمات وأوصاف معينة لوصف الذكور والإناث بطرق تعكس تفاوتا في القيمة والسلطة، كما أن وسائل الإعلام تساهم في تعزيز الصور النمطية عن المرأة والرجل، وتقويض أي تحد للهيمنة الذكورية.

يؤكد بورديو أن العنف الرمزي لا يقتصر على الإناث، بل يشمل أيضا فئات اجتماعية أخرى تعاني من التهميش والحرمان، ("فهو شكل من أشكال السلطة التي تمارسها الأجندات السائدة على الأفراد، وتجعلهم يقبلون بأوضاعهم دون مقاومة"). (بيار و ترجمة سليمان، 2009)

رأى بورديو أن العنف الرمزي هو أسلوب خفي للهيمنة، واختار الهيمنة الذكورية كنموذج واضح لهذا النوع من العنف ومع ذلك، فإن هذه الهيمنة بالذات هي التي دفعته لاستكشاف أهمية العنف الرمزي في فهم السيطرة الحديثة، فبدون مفهوم العنف الرمزي،

يصعب تفسير قبول المرأة لصور نمطية سلبية عنها، وهو قبول يسلط الضوء بشكل قوي على طبيعة الهيمنة وعمق تأثيرها.

يرى بيير بورديو أن الهياكل الجندرية مستقلة بذاتها ولا تخضع بالضرورة للتغيرات التي تطرأ على الهياكل الاقتصادية، وذلك على عكس ما تدعيه النظريات المادية التي تربط بين الجنس والطبقة بشكل مباشر وبدلا من ذلك، يشير بورديو إلى أن أنماط إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية لها منطقها الخاص الذي يستمر عبر الأجيال، ويستند في تحليله هذا إلى دراسة مجتمع القبائل في الجزائر كنموذج، حيث يكشف عن آليات عميقة ترسخ التمييز بين الجنسين على مستوى الرموز والمعاني، مما يؤدي إلى توزيع غير متساو للسلطة والموارد بين الرجال والنساء، ويربط بورديو بين هذا التمييز الرمزي والاختلافات البنيوية بين الجنسين، معتبرا أن الهيمنة الذكورية تستمر عبر ما يسميه "العنف الرمزي" الذي يتجسد في تطبيع الأنماط التقليدية للأدوار الجندرية وتبريرها بأسباب بيولوجية أو ثقافية.

يؤكد بورديو أن عملية التنشئة الاجتماعية المختلفة التي يخضع لها الذكور والإناث تدفع الرجال إلى السعي وراء السلطة والسيطرة، بينما تدفع النساء إلى الإعجاب بهذه الصفات في الرجال، فالسحر الذي يمارسه الرجل القوي على المرأة ليس سوى انعكاس للسلطة التي يتمتع بها، والتي يتم تعزيزها من خلال التنشئة الاجتماعية والسياسية وبالتالي، فإن الرجولة تعتبر واجبا على الرجل أن يؤديه، تماما كالشرف، وتتطلب منه مجموعة من الصفات والسلوكيات التي تجعله قادرا على ممارسة السلطة وعلى العكس من ذلك، فإن المرأة التي ترغب في تحقيق النجاح في عالم العمل تجد نفسها مضطرة لتقليد هذه الصفات الرجولية، مثل القوة والثقة بالنفس، حتى تتمكن من المنافسة.

5.7. المدرسة والعنف الرمزي:

إن العنف المدرسي، كما أشار بورديو، ليس مجرد ظاهرة عابرة بل هو جزء من منظومة أوسع من العنف المجتمعي، (بيار.، جان كلورد، و ترجمة ماهر، 2007) فعنف المعلم ضد التلميذ، الذي يتجذر في تاريخنا التربوي ويستمر حتى اليوم، يتجاوز كونه مجرد تصرف فردي، ليصبح نمطا سلوكيا متأصلا في بيئة التعليم هذا العنف، الذي لم يحظ بالدراسة والتحليل الكافيين، يتخذ أشكالا متنوعة ومتعددة، بدءا من العنف الجسدي وصولا إلى العنف الرمزي والنفسي، وتؤكد الأبحاث أن هذا العنف لا يقتصر

على مرحلة التعليم الابتدائي، بل يتمدد ليطال مرحلة المراهقة الحساسة، مما يترك آثارا نفسية واجتماعية عميقة على المتعلم، إن غياب الفهم الكافي لخصائص المراهقين، واحتياجاتهم النفسية، وتغيراتهم الجسدية، يزيد من حدة المشكلة ويجعل التعامل معها أكثر تعقيدا، إن استمرار ممارسة العنف في مدارسنا، سواء كان ماديا أو رمزيا، يشكل تهديدا خطيرا لجوهر العملية التربوية، ويحرم الأجيال القادمة من حقها في بيئة تعليمية آمنة ومحفزة.

تعتبر ظاهرة العنف المدرسي، وخاصة تلك الموجهة ضد المعلمين، من أبرز التحديات التي تواجه الأنظمة التعليمية في العديد من المجتمعات، وتتجلى هذه الظاهرة في أشكال متعددة ومتدرجة الشدة، بدءا من التهديدات اللفظية وانتهاء بالأفعال العنيفة كالاعتداء الجسدي، ولا شك أن هذه الأفعال العنيفة لا تنبع من فراغ، بل هي نتاج لتراكمات اجتماعية وثقافية ونفسية معقدة.

ومن بين العوامل التي تساهم في تفاقم هذه الظاهرة، يمكن الإشارة إلى العنف الرمزي الذي يمارس داخل المؤسسة التعليمية، فوفقا لبيير بورديو، فإن العنف الرمزي هو شكل خفي من أشكال العنف يتمثل في فرض قيم ومعايير وأفكار معينة على الأفراد بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال آليات التنشئة الاجتماعية والتعليم. وفي سياق المدرسة، يمكن أن يتجلى هذا العنف في العديد من الممارسات. (بيار.، جان كلورد، و ترجمة ماهر، 2007)

6.7. وسائل الإعلام والعنف الرمزي: (بورديو و ترجمة درويش، 2004)

في أواخر التسعينات، وجه بيير بورديو انتقادات لاذعة لوسائل الإعلام الفرنسية، وخاصة التلفزيون، متهما إياها بالتلاعب بعقول المشاهدين ونشر إيديولوجيات الطبقة الحاكمة، رأى بورديو أن التلفزيون أداة خطيرة تستخدم للسيطرة على الرأي العام وتوجيهه نحو مصالح النخب الحاكمة، كما انتقد المثقفين الذين يخدمون هذه الأجندة، واصفا إياهم بـ"كلاب الحراسة الجدد"، ويرى بورديو أن هذا العنف الرمزي الذي تمارسه وسائل الإعلام هو نتيجة حتمية للتفاوت الاجتماعي والاقتصادي، ويؤدي إلى تدهور الثقافة والديمقراطية، وقد تناول بورديو هذه القضايا بالتفصيل في كتابه "التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول"، حيث حلل بنية وسائل الإعلام الحديثة وكيفية عملها.

يرى بيير بورديو أن وسائل الإعلام لا تقتصر على نقل الأخبار والأحداث، بل تلعب دورا حاسما في تشكيل الرأي العام وتوجيهه، فمن خلال اختيار الموضوعات التي يتم تناولها، والطريقة التي يتم تقديمها بها، والوقت الذي يتم تخصيصه لها، تساهم وسائل الإعلام في فرض أجندة إعلامية معينة، يرى بورديو أن هذا النوع من التحكم في المعلومات يمثل شكلا من أشكال العنف الرمزي، حيث يتم من خلاله تقييد حرية التفكير والتعبير، وفرض رؤى وأفكار محددة على الجمهور وبهذا المعنى، فإن وسائل الإعلام لا تعدو كونها أداة في يد القوى المهيمنة لتعزيز مصالحها والحفاظ على وضعها الاجتماعي.

يعتبر بورديو التلفزيون أداة فعالة في ممارسة العنف الرمزي، حيث يخفي وراء محتواه الظاهر دلالات خفية تهدف إلى تشكيل وعي المشاهدين وتوجيه سلوكهم بما يخدم مصالح فئات معينة هذا العنف، الذي يتخذ أشكالا متعددة ومتنوعة، يعمل على تزييف الواقع وتشويه الحقائق، مما يؤدي إلى تآكل قدرات المشاهد على التفكير النقدي واتخاذ قرارات مستنيرة، ويزداد خطورة هذا العنف بكونه غير مباشر وغير مرئي، مما يجعله يصعب مقاومته علاوة على ذلك، يساهم التلفزيون في تقييد حرية الفكر والتعبير من خلال سيطرته على تدفق المعلومات، (Bourdieu P.، 1996) وهو ما يهدد بدوره الأسس الديمقراطية للمجتمع.

8. ثالثا-علاقة المفهوم بالمفاهيم الأخرى عند بيير بورديو:

1.8. العنف الرمزي والهابيتوس:

تتجسد العلاقة الوثيقة بين مفهومي العنف الرمزي والهابيتوس في الكيفية التي يتم من خلالها غرس القيم والمعتقدات الاجتماعية في صميم وعي الأفراد، حيث تعرض هذه القيم والمعتقدات كحقائق بديهية أو قواعد طبيعية لا تقبل النقاش، فالأفراد الذين ينشؤون في بيئة اجتماعية محددة، يكتسبون، عبر عملية الهابيتوس، مجموعة من القناعات والأنماط السلوكية التي تدفعهم إلى التصرف على نحو يتوافق مع التوقعات المجتمعية، دون أن يشعروا بأنهم مكرهون أو مجبرون على ذلك، هذه الآلية هي التي تمنح العنف الرمزي فعاليته وتأثيره العميق، حيث إنه يعمل على مستوى اللاوعي، مما يحول دون تمكن الأفراد من مساءلة الأوضاع القائمة أو حتى محاولة تغييرها.

لنفترض أن شخصا ما نشأ في بيئة ترسخ فكرة أن النجاح في الحياة (أحمد،، 2014) يعتمد فقط على الجهد الفردي في هذه الحالة، من المرجح أن يتبنى هذا الشخص هذا الاعتقاد دون أن يفكر في العوامل الأخرى التي قد تلعب دورا في نجاحه أو فشله، مثل الخلفية الاجتماعية والاقتصادية، والتعليم المتاح، والفرص المتاحة.

هذا مثال على كيفية عمل العنف الرمزي، حيث يجعل الأفراد يعتقدون أن القواعد والمعايير الاجتماعية التي تحكم حياتهم هي قواعد طبيعية وعادلة، بينما هي في الواقع نتاج علاقات قوة غير متكافئة وهياكل هيمنة.

هنا يأتي دور "الهابيتوس"، وهو ("مجموعة من الاستعدادات والتصورات التي يكتسبها الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية")، (Bourdieu., 1984) فالهابيتوس ليس ("مجرد نتاج للعنف الرمزي، بل هو أيضا آلية لإعادة إنتاجه")، (Bourdieu. P.، 1984) بمعنى أن الأفراد الذين تشربوا هذه القيم والمعتقدات من خلال الهابيتوس الخاص بهم، يقومون بدورهم بنشرها وتوريثها للأجيال القادمة، دون الحاجة إلى استخدام وسائل قمع صريحة.

2.8. العنف الرمزي والحقول الاجتماعية:

يشتبك مفهوم العنف الرمزي بشكل وثيق مع فكرة "الرأسمال الرمزي"، يشير هذا المصطلح إلى أي شكل من أشكال الموارد سواء كانت اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، أو حتى تعليمية تحظى بتقدير وقيمة مجتمعية، هذه القيمة تمنح صاحبها نفوذا وسلطة داخل المجتمع ومع ذلك، فإن هذا الاعتراف الاجتماعي لا يحدث بشكل عشوائي، بل هو نتاج عمليات اجتماعية معقدة تشارك فيها مؤسسات متنوعة، مثل المؤسسات التعليمية والإعلامية، في تحديد المعايير التي تضفي امتيازات معينة على أفراد أو فئات معينة على حساب الآخرين، تعد المؤسسات الاجتماعية، مثل الجامعات ووسائل الإعلام، أدوات فاعلة في ترسيخ مفهوم "العنف الرمزي"؛ وذلك من خلال إضفاء الشرعية على أنواع محددة من "رأس المال الرمزي" كالشهرة، أو الشهادات من جامعات مرموقة، أو حتى طريقة الكلام، هذه المؤسسات تحول هذه الأنواع من رأس المال إلى معايير يحتذى بها للنجاح والتفوق الاجتماعي، مما يهمش أو يقصي من لا يمتلك هذه الميزات.

3.8. العنف الرمزي وإعادة الإنتاج الاجتماعي:

يمكن اعتبار العنف الرمزي أحد الآليات الرئيسية التي تساهم في إعادة الإنتاج الاجتماعي، فمن خلال اللغة والتعليم ووسائل الإعلام والممارسات الاجتماعية، يتم تمرير مجموعة من الرموز والمعاني التي تضفي شرعية على علاقات الهيمنة وتجعلها تبدو طبيعية وبديهية، على سبيل المثال، قد يتم التركيز على أهمية التعليم "المناسب" لأبناء الطبقات العليا، أو تصوير نمط حياة معين على أنه النموذج الأمثل للنجاح، مما يدفع الأفراد من الطبقات الأخرى إلى تبني هذه القيم والمعايير، وبالتالي المساهمة في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي القائم.

بهذه الطريقة، يعمل العنف الرمزي على إخفاء الطبيعة القسرية للهيمنة، ويجعل الأفراد يتقبلون الوضع الراهن كأنه أمر طبيعي لا يمكن تغييره، هذا القبول والرضوخ للهيمنة يضمن استمرارها وإعادة إنتاجها عبر الأجيال.

9. رابعا– تطور المفهوم بعد بيير بورديو.

1.9. التفاعلية الرمزية:

تستند هذه النظرية إلى: (كربي، 1999، ص 132)

صاغ هربرت بلومر، أحد أبرز رواد النظرية التفاعلية الرمزية، في عام 1969، مجموعة من الفرضيات الأساسية التي شكلت حجر الزاوية لهذه النظرية، فقد أشار بلومر إلى أن البشر لا يتفاعلون مع الأشياء بوصفها مجرد كيانات مادية، بل يتفاعلون مع المعاني التي يعلقونها على هذه الأشياء، أي أن المعنى هو الذي يشكل أساس التفاعل الاجتماعي، وليس الشيء بحد ذاته هذه المعاني ليست ثابتة، بل هي نتاج للتفاعل الاجتماعي المستمر بين الأفراد، وتخضع للتغير والتعديل عبر الزمن.

تولي النظرية التفاعلية الرمزية اهتماما بالغا بدور اللغة والمعنى في تشكيل الواقع الاجتماعي، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أداة لبناء المعنى وتشكيل الهوية الاجتماعية من خلال اللغة، يتبادل الأفراد المعاني والأفكار، ويقومون بتأويل سلوك بعضهم البعض وبالتالي، فإن اللغة تلعب دورا حاسما في بناء التماسك الاجتماعي والحفاظ عليه.

ومن أهم المفاهيم التي تركز عليها النظرية التفاعلية الرمزية هو مفهوم الرمز، الرمز هو أي شيء يمثل أو يدل على شيء آخر قد يكون الرمز لفظيا، مثل الكلمات والعبارات، أو غير لفظي، مثل الإيماءات وتعبيرات الوجه، وتكتسب الرموز معان (حسين، 1999) بها من خلال الاستخدام الاجتماعي، أي من خلال التوافق على معناها بين أفراد المجتمع.

2.9. التطهير:

تستند إلى فرضية أن العنف الإعلامي يمكن أن يلعب دورا في تقليل السلوك العدواني، خاصة لدى الأفراد الذين يعيشون في بيئات اجتماعية صعبة، فالأفراد المنتمون إلى الطبقات الدنيا، الذين غالبا ما يفتقرون إلى الفرص والامتيازات، قد يشعرون بإحباط وغضب مستمرين، مما يدفعهم إلى ممارسة العنف، وترى هذه النظرية أن مشاهدة العنف في وسائل الإعلام يمكن أن تساعد هؤلاء الأفراد على تخفيف هذا التوتر، وبالتالي تقليل احتمال قيامهم بأعمال عنف في الواقع ومع ذلك، فإن هذه الآلية قد لا تكون بنفس الفعالية لدى الأفراد المنتمين إلى الطبقات المتوسطة، الذين يتمتعون بتربية اجتماعية تساعدهم على التعامل مع المشاعر السلبية بطرق أكثر بناءة (بورديو، و ترجمة نظير، 1994)، ومنه فإن العلاقة بين التطهير ومفهوم العنف الرمزي تتجلى في كيفية استخدام الآليات الرمزية لإحداث تغييرات اجتماعية أو سياسية دون اللجوء إلى العنف الجسدي المباشر. (.Bourdieu، 1991)

10. خلاصة:

يقدم مفهوم العنف الرمزي، كما صاغه بيير بورديو، رؤية ثاقبة وحديثة لفهم السلطة والهيمنة في مجتمعاتنا، فبدلا من التركيز على أشكال العنف المادية الظاهرة، يلفت بورديو انتباهنا إلى شكل آخر من العنف، هو العنف الرمزي، الذي يتجلى في الأيديولوجيات والمعتقدات والقيم السائدة هذا النوع من العنف، وإن كان خفيا، إلا أنه يلعب دورا حاسما في إعادة إنتاج الهياكل الاجتماعية القائمة.

العنف الرمزي، كما وصفه بورديو، يتسم بطابعه الخفي والناعم، فهو ("غير مرئي وغير محسوس بشكل مباشر") (Pierre، 1997)، هذا العنف يمارس تأثيرا جذابا ومقنعا لدرجة أن الضحية قد لا يدركه كعنف، بل يتقبله كأمر طبيعي أو حتى يسعى

إليه، يكمن خطره في هذا التخفي، حيث يعمل على مستوى الوعي والأفكار، ويشكل الهوية الذاتية للأفراد.

تلعب اللغة دورا محوريا في ممارسة العنف الرمزي، فهي ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي بيئة صراع رمزية، حيث يتم تشكيل المعاني وتحديد الهويات وتوجيه السلوكيات في المجال السياسي، على سبيل المثال، تستخدم اللغة كسلاح للتأثير على الرأي العام، وتجييش العواطف، وبناء التحالفات، بل وفرض الهيمنة والتعسف.

إن اللغة، بحمولتها الثقافية والإيديولوجية، قادرة على خلق واقع بديل، حيث يتم تبرير الظلم واللاعدالة، وتقديس السلطة، وتغييب الأصوات المعارضة وبالتالي، فإن فهم آليات عمل العنف الرمزي اللغوي يمثل خطوة حاسمة في مقاومة أشكال الهيمنة والاستبداد.

11. قائمة المراجع:

المؤلفات:

إبان كربي ترجمة: محمد حسين. (1999). علوم النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى ما برماس. الأردن، الكويت: الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون.

بورديو بيار.، باسرون جان كلورد، وترميش ترجمة ماهر. (2007). إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعلم. بيروت، الطبعة الأولى: مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع.

بورديو بيار، وقعفراني ترجمة سليمان. (2009). الهيمنة الذكورية. بيروت: مركز دراسات الوجدة العربية لتوزيع.

بيير بورديو، والحلوجي ترجمة درويش. (2004). التلفزيون وأليات التلاعب بالعقول. دمشق، الطبعة الأولى: دار كنعان للنشر.

بيير بورديو، وجاهل ترجمة نظير. (1994). "العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

المقالات:

بن شراد محمد الأمين، ورحموني لبنى. (2021). النشء المكسور (العنف الرمزي الممارس ضد الطفل في الإعلان التلفزيوني الجزائري حسب مقاربة بيير بورديو)، المجلة الدولية للإتصال الاجتماعي، المجلد08 (العدد04)، ص117.

حورية علاهم، وبن سليمان جمال الدين. (2024). التفويض كآلية لممارسة العنف الرمزي عند بيير بورديو، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد 9 (العدد1)، ص 506.

زقاوة أحمد، (2014). محددات النجاح الدراسي. مجلة الدراسات النفسية والتربوية (12)، ص54.

منادي مريم، وشلوش نورة. (2019)، لغة الشعارات من خلال نظرية العنف الرمزي لبيير بورديور، مجلة جسور المعرفة، المجلد5 (العدد3)، ص481.

يسمينو بخوش، (2022). العنف من وسائل الإعلام إلى مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك كآلية جديدة للعنف الرمزي في البيئة الافتراضية. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، 11 (3).

المراجع الأجنبية:

Beate krais .(1999) .Autour du livre de pierre Bourdieu la domination masculine .Travail, genre et sociétés.

Bourdieu Pierre .(1997) .Méditations Pascaliennes .Paris : Le Seuil.

Bourdieu Pierre .(1981) .Sens pratique .Paris : Les Éditions de Minuit.

Jean-Michel Landry .(2016) .La Violence symbolique chez Bourdieu ،13 .P86.

Lahouari Addi .(2001) .Violence symbolique et statut du politique dans l'œuvre de Pierre Bourdieu .Dans Revue française de science politique ،P955.

Pierre. Bourdieu .(1991) .Language and Symbolic Power .Harvard University Press.

Pierre Bourdieu .(1982) .Ce que parler veut dire : L'économie des échanges linguistiques .Éditions Fayard.

Pierre Bourdieu .(1984) .Distinction : A Social Critique of the Judgement of Taste .Harvard University Press.

Pierre, Bourdieu .(1986) .Ce que parler veut dire .Paris : Minuit.

Pierre. Bourdieu .(1996) .Sur la télévision suivie de L'emprise du journalisme . Paris : Liber Editions.

Pierre. Bourdieu .(1984) .Distinction : A Social Critique of the Judgement of Taste .Harvard University Press.